

هوية المرأة المسلمة

المناسبة: ذكرى ولادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (ع) ويوم المرأة

الزمان والمكان: 20 جمادى الثانية 1421هـ ق طهران

الحضور: جمع غفير من الأخوات المسلمات

في البداية أرحب بكنّ جميعاً أيتها السيدات المحترمات والفاضلات، ولاسيّما عوائل الشهداء الأبرار والأمهات وزوجات الشهداء الأخيار، وأشكر لكنّ المجيء إلى هذا الملنقى الحميمي والمتألق، كما أتقدّم بالشكر إلى الأم المحترمة والدّة الشهداء الثلاثة الأعزاء على كلمتها القيّمة.

ذكرى ميلاد الزهراء (ع) فرصة للوقوف على هوية المرأة المسلمة

إنّ ذكرى ميلاد فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) تعتبر فرصة ثمينة للنساء المسلمات؛ ليقفن على حقيقة هوية المرأة المسلمة ومكانتها السامية في نظر الإسلام وفي ضوء النظام الإسلامي.

إنّ قضية المرأة، كسواها من القضايا الأخرى، باتت ألعوبة في يد النفعيين الذين يتاجرون بكافة القيم الإنسانية في العالم، وفي وسائل الإعلام العالمية على مرّ السنين، والذين لا يعرفون قيمة للمرأة ولا للبشرية ولا للكرامة الإنسانية سوى ما يهّمهم من المكاسب المادية — وللأسف فإنهم يلعبون دوراً بارزاً على شتّى الأصعدة في إطار الحضارة الغربية الحديثة — فجعلوا من قضية المرأة وسيلة لاستدراج الربح المادي، وراحوا ينشئون حولها الأبحاث، وابتدعوا لها التقاليد، وينشرون عنها الدعايات، فزجّوا بعقل الرجل والمرأة معاً في كافة أنحاء العالم إلى متاهة مظلمة، ودفعوا بهما سوية إلى مفترق طرق من الضياع والضلال.

وفي مثل هذه الظروف يجدر بالمرأة المسلمة أن تستعيد هويتها؛ عن طريق التأمل في المفاهيم الإسلامية والمثل الدينية، واستكناه الخطوط والتدابير التي اتّخذها النظام الإسلامي؛ من أجل تطوّر ورخاء المرأة والرجل، وأن تتسلّح بالأدلة الموضوعية في

مواجهة سفسطة وهراء العناصر الصهيونية، وأصحاب الثراء الفاحش واللاهثين خلف بريق الذهب.

لقد وقف الإسلام في وجه الجاهلية التي جارت على المرأة وغمطتها حقها، سواء أكان ذلك على الصعيد المعنوي والفكري، أو على مستوى القيم الإنسانية، أو في مجال المشاركة السياسية، وفوق كل ذلك في مجال الأسرة، حيث إن هذا المجتمع الصغير المكوّن من الرجل والمرأة سيجعل من المرأة خاصة عرضة للجور؛ إذا لم تقم عماده في ظل مجتمع تسوده القيم والمثل. ولهذا فقد وضع الإسلام قيماً لكل هذه المجالات الثلاثة.

الدور المعنوي للمرأة

فعلى الصعيد المعنوي أعطى الإسلام للمرأة دوراً مؤثراً في سوق الحركة المعنوية للإنسان صوب التطور والمدنية، وعندما يريد القرآن أن يضرب مثلاً للمؤمنين، فإنه يقول <وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون>¹ فيضرب مثلاً بامرأة، وكذلك عندما يدور الحديث حول الإيمان والإسلام والصبر والصدق والجهاد في سبيل القيم الإنسانية والإسلامية والمعنوية، فإنه يقول <إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات>².

فقد ورد في هذه الآية عشرة أسماء للقيم المعنوية: الإسلام، والإيمان، والقنوت، والصدق، والصبر، والخشوع، وسواها، فالمرأة والرجل يسيران جنباً إلى جنب في هذا الاتجاه، ويتقدمان معاً على طريق واحد كما ذكر القرآن الكريم.

إنّ ذلك الصنم الذي أقامته الجاهلية للرجل دائماً فأقبل على تقديسه الرجل والمرأة كلاهما، حطّمه الإسلام في هذه الآيات.

الدور السياسي والاجتماعي للمرأة

¹ سورة التحريم، الآية: 11.

² سورة الأحزاب، الآية: 44.

كما أن الإسلام يعتبر بيعة المرأة أمراً ضرورياً، وقضية حيوية على صعيد القضايا السياسية والاجتماعية.

وبإلقاء نظرة على العالم الغربي، وتلك البلدان الأوروبية التي تدّعي جميعها الدفاع عن حقوق المرأة – وهي أكاذيب في مجملها – فإننا نجد أن المرأة، وحتى العقود الأولى من هذا القرن، لم يكن لها حق في إبداء الرأي، ولا في الانتخاب، بل وحتى لم يكن لها حق في الملكية؛ أي أنها لم تكن أيضاً مالكة لأموالها الموروثة، وإنما كان المالك هو زوجها! ولكن الإسلام يقرّ بيعة المرأة ومالكيته ومشاركتها في الساحات الأساسية السياسية والاجتماعية، فيقول القرآن الكريم >إذا جاءك المؤمنات يبائعنك على أن لا يشركن بالله³؛ فالنساء كنّ يأتين أيضاً لمبايعة النبي (ص) ولم يقل رسول الإسلام بأن الرجال ينوبون عن النساء، فيخترن من اختاروا ويقبلن بمن قبلوا، بل قال: بأن النساء يبائعن أيضاً ولهن أن يشاركن في القبول بهذه الحكومة وهذا النظام الاجتماعي والسياسي. فالغربيون متأخرون عن الإسلام ألفاً وثلاثمائة سنة في هذا المجال، ولكنهم يتشدّقون بهذه المزاعم!

وكذلك هو الأمر في مجال الملكية وسواء من المجالات الأخرى ذات الصلة بالقضايا الاجتماعية والسياسية.

ولقد كانت فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) هي نفسها أسوة في ذلك، سواء في مرحلة الطفولة، أو في المدينة المنورة بعد هجرة الرسول (ص) إليها، وكذلك في كافة الشؤون العامة في ذلك الزمان الذي كان فيه أبوها محوراً لجميع الأحداث السياسية والاجتماعية، حيث كان لها (عليها السلام) حضور واسع، وكانت مظهراً لدور المرأة في النظام الإسلامي.

وبالطبع فإن فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) كانت قمة في هذه الأمور، ولكن سيدات أخريات كنّ في صدر الإسلام على قدر كبير من المعرفة والحكمة والعلم، وكان لهن حضور في ميادين الحرب، لدرجة أن بعض من كنّ يتمتعن بقوة بدنية كانت لهن صولات وبطولات في المعارك والضرب بالسيف وسوح التضحية.

³ سورة الممتحنة، الآية: 12.

ولكن الإسلام لم يوجب ذلك — طبعاً — على النساء، بل أسقطه عنهن؛ لعدم ملائحته لطبيعتهن الجسدية وكذلك لعواطفهن.

مكانة المرأة داخل الأسرة

وأما في داخل الأسرة، فقد أوجب الإسلام على الرجل المحافظة على المرأة كـ(وردة) ولذلك يقول «المرأة ريحانة»⁴؛ وهذا لا يتعلّق بالمجالات السياسية والاجتماعية والدراسية وشتّى ألوان الكفاح الاجتماعي والسياسي، بل يتعلّق بالكيان العائلي.

إنّ «المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة».

وبهذا يقضي النبي (ص) على تلك النظرة الخاطئة التي كانت لا ترى في المرأة سوى خادمة داخل المنزل؛ فهي على غرار الزهرة ويجب الحفاظ عليها.

وبمثل هذا التصور ينبغي النظر إلى هذا المخلوق ذي اللطافة والرقّة الروحية والجسمية، وهذا هو رأي الإسلام؛ وعلى هذا فقد حافظ الإسلام على المميزات النسوية للمرأة، والتي يقوم على أساسها كل ما لديها من مشاعر وإرادات، فلم يخضعها ولم يطلب منها أن تفكر كالرجل، أو تعمل كالرجل، أو تكدح وتطمح كالرجل — أي أنه حفظ لها خصوصيتها الأنثوية، والتي هي خصوصية طبيعية وفطرية، كما أنه محور كافة المشاعر والمسااعي النسوية — في حين فتح أمامها شتّى أبواب العلم والمعنوية والتقوى والسياسة، وحثّها على اكتساب العلم، وأيضاً على المشاركة في الميادين الاجتماعية والسياسية المختلفة.

وفي نفس الوقت فإنه لا يحق للرجل داخل الأسرة أن يجبر المرأة أو يضطرها أو يدفعها للقيام بما ليس من واجبها، ولا أن يستخدم معها السيطرة الجاهلة واللاقانونية. فهذه هي النظرة الإسلامية.

دور المرأة المسلمة في الثورة والحرب

⁴ الكافي: ج5، ص510. باب إكرام الزوجة الحديث 3.

وبهذه النظرة، وعندما وصلت النهضة الإسلامية إلى مرحلة الثورة، تقدّمت المرأة إلى الأمام بما لها من فهم طبيعي لموقف الإسلام من جنسها؛ ولهذا قال الإمام، ونعم ما قال، في كلمة له: «لو لم تشارك المرأة في هذه النهضة لما انتصرت الثورة»، وبالتأكيد، فإنه لولا ذلك الحضور النسوي الفعّال في الشوارع والمسيرات الحاشدة — ذلك الحضور الواسع والعظيم في أيام الثورة — لما انتصرت الثورة الإسلامية، وأما في سنوات الحرب المفروضة، فلولا أمثال هذه الأم التي ضحّت بأبنائها الثلاثة وسواها من أمهات وزوجات الشهداء — اللاتي كان لي شرف الجلوس والحديث والتعرّف على خصوصيات الآلاف منهن عن قرب — ولولا ما يتمتعن به من إيمان وصبر وصلابة ومعرفة لما وقفن هذا الموقف المحمود أمام خسائر الحرب وتضحيات الشباب والرجال.

إنّ أمهات وزوجات الشهداء لو كنّ قد أظهرن اليأس والامتناع لما حقّق الانتصار في الحرب، ولجفّ شوق الجهاد في سبيل الله، وغاض ينبوع الشهادة في قلوب الرجال، ولما كان هذا الحماس، ولما أضفى هذه النضارة على المجتمع.

لقد اضطلعن النساء بدور طليعيّ في ميدان الحرب أيضاً.

ولولا وفاء النساء وعواطفهن وحضورهن في الساحات المختلفة ومشاركتهن في المسيرات وفي الانتخابات لما استطاع الرجال القيام بهذا التحرك العظيم، ولما تمكّنوا من مواصلة الطريق؛ فهذه هي نظرة الإسلام والنظام الإسلامي.

خيانة الثقافة الغربية للمرأة

إنّ الغربيين يتحمّلون المسؤولية الجسيمة أمام المرأة، فلقد خانوا المرأة، وإن الحضارة الغربية لم تمنح المرأة شيئاً يذكر؛ وما حقّقتها المرأة من تقدّم علمي وسياسي وفكري فإنما بفضل جهودها وسعيها، وهذا يحدث في كل مكان، وقد حدث في إيران الإسلام وفي بلدان أخرى.

لقد كان ذلك بفضل المرأة؛ وإن ما أدى بالغربيين إلى حافة الهاوية، وساق الحضارة الغربية إلى شفا الانهيار؛ هو ما فشا في المحيط النسوي من انحراف وتحلّل وابتذال.

لقد جرّوا المرأة إلى الابتذال وأفسدوها حتى داخل الأسرة، وها هي الصحف الأمريكية والأوربية تطلع علينا دائماً بارتفاع نسبة تعذيب المرأة ومعاملتها بوحشية.

إنّ الثقافة الغربية فيما يتعلق بالمرأة، وجرّ المرأة إلى الانحلال والابتذال في تلك البلدان أدت إلى ضعف الأسرة وزلزلت الكيان العائلي، ولم يعد يعطي الزوج أو الزوجة أهمية كبيرة؛ للخيانة الزوجية، أفليس هذا إثماً؟ أليست هذه خيانة للمرأة؟ ومع مثل هذه الثقافة المنحرفة نجدهم يتبحّجون على كل العالم، مع أنهم مدينون! إن الثقافة الغربية النسوية ينبغي لها أن تقف موقف الدفاع، وعليها أن تدافع عن نفسها، ولا بدّ لها من إعطاء الإيضاحات، ولكن غلبة وسيطرة الرأسمالية والإعلام الغربي المستكبر والتجبر تقلب الأمور رأساً على عقب، فيتحوّل هؤلاء إلى أصحاب حقوق ومدافعين عن حقوق المرأة، كما يقولون ويزعمون! والحال أنّ الأمر ليس كذلك.

وبالتأكيد فإن بين الغربيين مفكرين وفلاسفة وأشخاصاً صادقين وصالحين، يفكّرون ويتحدّثون بصدق، وإنّ ما أقوله هو أنّ الاتجاه الثقافي والحضاري العام في الغرب ليس في صالح المرأة، بل ضدها.

وظيفة المرأة المسلمة اليوم

إنّ على المرأة المسلمة الإيرانية في إيران الإسلام أن تسعى لإحياء القيمة السامية للمرأة المسلمة، لتتحدّ إليها أنظار العالم، وهذه هي مسؤولية المرأة المسلمة اليوم، ولاسيما الفتيات الشابات في المدارس والجامعات.

إنّ الهوية الإسلامية هي أن تحافظ المرأة على هويتها وخصوصيتها النسائية، والتي تعد أمراً طبيعياً وفطرياً، حيث إنّ خصوصيات كل جنس تمثّل قيمة له؛ أي أن عليها أن تحافظ على مشاعرها الرقيقة، وعواطفها الملتهبة، وعطفها ومحبتها، ورقتها، وصفائها وتألّفها الأنثوي.

وفي نفس الوقت، فإن عليها أن تتقدّم وثابة في مجالات القيم المعنوية، كالعلم والعبادة والتقرب إلى الله، وكالمعرفة الإلهية والسلوك في وديان العرفان.

كما أن عليها أن ترقى في المجالات الاجتماعية والسياسية، وفي ميادين الصمود والصبر والمقاومة والمشاركة السياسية والإرادة السياسية، ومعرفة مستقبلها، واستشراف الأهداف الوطنية الكبرى والأهداف الإسلامية التي تصبو إليها البلدان والشعوب الإسلامية، ومعرفة العدو ومؤامراته وأساليبه، والانطلاق إلى الأمام يوماً بعد آخر.

ويجدر بها التقدّم أيضاً على نطاق تحقيق العدل والإنصاف، وتوفير الأجواء الهادئة والأمن والسكون في الحياة العائلية.

كما أنه إذا كانت ثمة حاجة إلى سنّ القوانين الضرورية وإحداث تصحيح وإصلاح على صعيد القضايا المؤدية إلى هذا الهدف، فإن على المرأة المثقفة والواعية والمتعلّمة أن تتقدّم في كافة هذه المجالات، وعليها أن تكون قدوة وأسوة، حتى يقولوا: بأن المرأة المسلمة هي التي تراعي دينها وحجابها ونعومتها ورقّتها ولطافتها، كما تدافع في نفس الوقت عن حقوقها، وتتقدّم في ميادين المعنويات والعلم والبحث والتقرّب إلى الله، وتكشف عن شخصيتها البارزة، وهي — مع كل هذا — حاضرة في الساحة السياسية، ومن هنا تكون أسوة للنساء.

اعلمن أنّ أنظار المرأة المسلمة في الكثير من بلدان العالم مشدودة إلّيك اليوم، وأنها تتعلّم منكن، وإنّ الذي نشاهده في بعض البلدان الغربية، وبعض البلدان الإسلامية التي تتحكّم فيها أنظمة غير إسلامية من مهاجمة أعداء الدين للحجاب الإسلامي؛ لدليل على تطّلع وتمسّك تلك المرأة بالحجاب.

وفي البلدان الجارة، حيث لا أهمية تعطى للحجاب، وفي البلدان الإسلامية التي شاهدها بنفسي عن قرب ولم يكن يُسمع فيها ذكر للحجاب، وبعد عشرين عاماً من عمر الثورة، نجد أن المرأة، ولاسيما المثقفة والجامعية، قد أقبلت على الحجاب وتعلّقت به وتعوّدت عليه وغدت مراعية له، وثمة نماذج لذلك حتى في البلدان الغربية فضلاً عن الإسلامية، وأنتنّ الأسوة والقدوة.

اعلمن أنه لا يوجد في أي مكان من العالم اليوم نساء كأمهات شهدائنا، ومنهن من هي أم لشهيدين، وأم لثلاثة شهداء، وأم لأربعة شهداء.

إن في بلدنا الكثير من الأمهات المتميزات اللاتي تفوقن على الآباء في القوة والوعي والمثابرة، وهذا بفضل التربية الإسلامية، ومن الآثار الطاهرة والمطهرة والنورانية لفاطمة الزهراء (سلام الله عليها).

إنكن بنات فاطمة الزهراء، وأتباع فاطمة الزهراء.

وإنني لأدعو الله تعالى أن تشرق على قلوبكن أنوار الولاية والمعنوية والمعرفة المقدسة، وأن تخطو المرأة المسلمة خطوات كبيرة وحسنة كل يوم على طريق حفظ

ورعاية الهوية الإسلامية، وأن تفيض الألفاف الإلهية على الروح المطهرة للإمام
الراحل الذي فتح هذا الباب واسعاً أمام المرأة، وأن تشملكن جميعاً أيتها الأخوات
العزيزات الأدعية الزاكية لولي العصر (أرواحنا فداء).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته